ما لم أكن

فداء الكومي

رسيل الدويرج

الفهرس

مقدمة 3

بداية شيء يأبى ان ينتهي 5

ضوضاء مشاعر 7

صياح وضجيج.....10

أنين.....13

شمس الأمل 17

نسيم - الخاتمة.....19

مقدمة

تلك الفتاة لقد كانت قبل الآن أجمل بكثير لقد كانت مشرقة بيضاء جميلة يبتهج كل من يراها ، متفوقة في دراستها رائعة بكل ماتحمله الكلمة من معنى .

ماحدث الأن لم يكن في الحسبان ليليان، مالذي حدث كانت فتاة حسناء كما يقال، سابقا كانت تعيش تحت سقف الأمان والطمئنينة ، بعد تطورات النمو وتغير الأفكار تلك مرحلة تمر بها جميع الفتيات في هذا العمر لكن ليليان عاشت تجربة مختلفة تماما ، أصبح جسدها هزيلا وجهها شاحب ، لقد تغلغل التشاؤم والاكتئاب في داخلها وأخذ الحزن يلهو ويلعب بها !

أصبحت الآن منعزلة أكثر عن العالم تعيش تحت أنقاض البؤس ومواقع التواصل الإجتماعي .

لم تكن يوما هكذا هذه أيام التي تمر بها هي اشد الأيام بؤسا وسوادا ، لا نعلم أكانت الظروف العائلية أم تغيرات النمو أم الزمن الذي غيرها أم هي مرحلة طبيعية وقد بلغت مبلغها من التطورات ، هل ياترى ستحاول جاهدةً في التغلب على تلك الظروف أن تستلم في أقرب فرصة !

{ بداية شيء يأبى أن ينتهي }

{ بداية شيء يأبى أن ينتهي }

كأي يومٍ طبيعي، تستيقظ ليليان بكامل طاقتها وحماسها. قالت ليليان وهى تنهض بكل طاقة لبدء روتينها اليومى ،"أتساءل اذا كان سيمر هذا اليوم بسلام." .

ارتدت ملابسها واستعدت للخروج الى المدرسة وكانت تخطط بعد عودتها ان تنهي واجبتها وتذهب للخروج مع والدتها

كانت سعيدة جدا بأن يومها المدرسي مَر بسلام ولم تكن هناك اي مناوشات ،حتى اخر لحظات خروجها من باب المدرسة بقليل قاطعتها صديقتها بسمة قائلة بكل اشمئزاز "أووه! احسدك على كونك نشيطه دوماً، لايأتي يومٌ إلا وانتِ كالبلهاء من فرط الطاقة!" قالت ليليان مغمغمة في ضجر:

هذا كثير ، انا احاول جاهدة ألا يتعكر مزاجي وها انت ذا تتذمرين وتسخرين من أي شي كعادتك!

عادت إلى المنزل مرهقة جدا بعد ذالك اليوم المدرسي الطويل ولكن مع الاسف لابد أن يكون هناك مايعكر مزاجها ، ويبدو ان والديها قد بدأ بالشجار مجددا .حدثت نفسها بسخرية قائلة:"يبدو أننى حقا سأستمر في مواجهه أيام رائعة كهذه! عظيم"بالطبع لم يكن هذا اليوم "مثالياً" بالنسبه لها -ليليان-، ذهبت وتوضأت وقامت للصلاة ولكن قبل ان تقول الله أكبر سمعت الهاتف يرن قالت : حتى الصلاة لا أستطيع أن أصلي في هدوء !

بعد ان أنهت صلاة العصر قررت الإستسلام الى النوم فهي لم تنم منذ الخامسة
فجرا حتي هذه اللحظة ! وكالعادة أفاقت من سباتها العميق وأكلت طعام الغداء وأخذت تحل واجبتها وتحضر حلقة التحفيظ وتقرأ بعض الكتب كأي
يوم عادي، لم يحدث شيء مريب حتى الآن ! مر هذا اليوم ، وبدأت الايام تمر
٦ ايام على تلك الحال كما سمتها ليليان "الايام المنحوسة" ، فقد بدأت تنهال عليها المشاكل واحدة تلو اخرى
وهي تحاول جاهده في الوصول الى حل للتخلص من هذه المشاعر والافكار السلبية التي بدأت تراودها مؤخرا !. لكن يبدو انها ستمضي ايامها تلك هكذا
حتى تحج الابقار على قرونها !

{ ضوضاء مشاعر }

{ ضوضاء مشاعر }

في صباحِ ذلك اليوم المشؤوم، شعرت بضيق عسر في دواخلها، أفتتح اليَوم بارتفاع صوت والدتها .. كان ذلك الذي أيقظها من نومها .
بالتأكيد تلك الأم تعيد الصراخ مجددا في والدها .. ولازالت ليليان تستلقي على فراشها تتقلب يمنةً ويسرى، هي تريد النوم ولكن الضجيج يطن في اذنها كطنطن النحل ، إنها لاتستطيع النوم بسببه إنه يوم عقيم حقا ما هذا ؟ ، رأت خيالا من بعيد يلوح عند المرأة ارتعبت قليلا لكنه طمأنت نفسها قائلة : لا انها هلاوس فقط فأنا منذ ايام انا لم انم جيدا . توقف صوت صراخ والدتها وتوقف معه صوت سيارة والدها في الخارج، عظيم، أخيرا !
اغمضت عينيها لكنها لازلت ترا بعض الخيالات الغريبة لربما أش .... باح ؟ لا أحد يعلم !
الساعة الآن السابعة وهي لم تستطع أن تغمض عينها وتدخل في نوم عميق ، لقد وصل بها الحال إلى انها لم تستطع النوم مطلقا، وتظن ان تلك الكوابيس لاتزال تلاحقها.
همهمت لنفسها بداخل الحمام "أنا أستطيع انا أرى تلك ال-" قطع حديثها مرة اخرى صوت والدتها قائلة : يا ليليان استيقظي لقد تأخرت عن المدرسة . لم تستطع الرد وكأن القط قد اكل لسانها ! صمتت قليلا ، ولكن اذا بظل يتحدث وراءها قائلا "انتِ وحدك ياليليان التي تمر بهذا، هذا العمر تحدث به الكثير منَ الاضطرابات النفسية لن تستطيعي التغلب عليها" عادت الى وعيها بعد هذا الحوار الوهمي مع الظل المجهول، هي اصبحت تعيش بين الخيال والحقيقه، ولكن ماسبب ذلك؟

بدأت بالصراخ مجددا، هي لاتستطيع اخراج فكره انها تعيش بين اثنين.. بين كل ماتراه صحيح وبين الوهم.
ولكن ماهذا الذي تراه ؟
الفتاه تهتز بشده.. دموعها تنهمر على وجنتيها
ارتفع صوت خطوات احدهم يقترب من غرفتها، بدأ المكان يُظلم واصبحت الرؤيه لديها مشوشه.
بدأت تتعرق وتتمتم بكلمات غير مفهومه، وفجأه ظهرت والدتها امام عينيها تقف وعلامات التساؤل تعتلي وجهها :هل انتِ مصابة بالحمى يابنيتي؟" صدمت من ذلك التعجب الذي اعتلى وجهَ والدتها التي هي من أيقظها بصوتها العالي..
أجابت: لا يا أمي لكنني ..... ردة والدتها في تعجب اكثر : لكنك ماذا اخبرني ! أنا والدتك ..! هل حدث شي ما؟ لما أنت تتعرقين هكذا ؟ لما أراك ترتجفين ؟
أدركت والدتها ما يحدث علمت بأن تلك الفتاة الجميلة ليليان تمر بمرحلة صعبة وعلاوة على ذالك هي أيضا لم تنم جيدا بما يكفي منذ ٣ أيام أخذتها وضمتها الى حضنها الدافئ ومسحت على شعرها وهم تتمتم : لا تقلقي انا هنا بجانبك فقط اخبريني ماحدث ؟ هل تشكين من شيء ؟
عم الصمت ارجاء الغرفة بأكملها والبيت تبعها، قالت ليليان : أمي.. أرجوك لا تتصنعي عدم معرفتك بهذا الذي يحدث معي هنا، أبي وانتِ تصرخان بكل ما أوتيتما من قوه وحيث أنا هنا أحاول النوم، أنتَ تعلمين أنني لا أتحمل وجود ضجيج كهذا وفوق ذلك إنني لم أرتَح جيدا الليلة.
متى سيتوقف هذا ؟" قالت والدموع على حافة عينيها : حسناً.. لاتقلقي سأحاول أن أصلح كل هذا اتفقنا؟ همست لها امها بنبرة حنون وهي تحتضنها الى صدرها"، "حسناً.؟"

{ صياح وضجيج }

{ صياح وضجيج }

تمر الايام، وليليان تراودها كوابيس لا مفر منها، لم تستطع ان تتغلب عليها أو تخرجها من ذهنها

ومضت الليالى تمر وتمر وكأنها تركض فى سباق ، وليليان حالتها تزداد سوءاً يوما بعد يوم ، ضعف في المستوى الدراسي لم تعتد عليه ، بدأ وزنها ينزل بكل ملحوظ ، لم تعد تذهب الى المسجد برفقة جدتها ، اصبحت منعزلة اكثر ....

لم تحاول ابدا بإن تغير من حالتها شيئًا، كل ماكان يهمها ان تحاول فقط اخراج تلك الأفكار والتخلص من الكوابيس بأي طريقة ، تلك الام الحنون حاولت جاهدة بإن تساعد ابنتها ، حاولت وحاولت ولمّ يُجد شيء معها ،. أخذها والدها إلى طبيب نفسى ليعالجها ولكنه نظر إليها هي ووالديها نظرة استخفاف واستحقار قائلا : ليليان لا تعاني من أي شي هي تطورات مرحلة المراهقة والبلوغ لا أكثر ! إقتنع الوالدين بتلك الفكرة لكنها لازالت ترا الظلال تلاحقها !

أخبرت جدتها بالموضوع لعلها تجد الحل، و لكن مع الأسف نهرتها الجدة قائلة : ليس هناك وجود للأشباح والكوابيس انت توهمين نفسك بخيالات لا أكثر عليك بالقرآن والعبادة والصلاة ، وبالمناسبة لم أعد أرك تأتين معي إلى المسجد حتى مصحفك لم اعد أرك الا نادرا تقرئين به وحلقة التحفيظ ما بالها ؟

بالطبع الجدة لا تعلم مالذي يحدث لم تحاول حتى ضم حفيدتها لها ولم يحاول أحد ان يقف بجوارها ، حتى والديها حاولا جاهدين ولكن لم يجد اي شيء نفعا! لكن لماذا ؟ الجميع مشغول والدتها معلمة وأم في آن واحد وهي ليس لديها أي إخوة ، أبها يعود متأخرا بعد أن تكون هي قد ذهبت في نوم عميق ، وتصحوا للذهاب الى المدرسة لكن تجده قد ذهب الى العمل ...!

بسمة أيضا تلك الصديقة المقربة العزيزة الرقيقة لم تخبرها هي
أيضا خوفا من أن تستهزئ بها مثلما فعل الباقون !
لم يكن أي شخص مهتما بتفسير تلك الحاله، وبما فيهم عائلتها.
كان أشبه بالتهرب؟ لماذا ؟ أ ليست ليليان عزيزتهم الصغيرة وابنتهم
الوحيدة ؟، ام تلك المسؤولية فاقت طاقتهم؟
حاولت ليليان مساعدة نفسها، لكن مابال تِلك الكوابيس التي
تراودها مستمرة في الظهور لَها؟،
يوما بعد يوم، ليليان اصبحت تُنهك جسديا ونفسيا. وحالتها تزاد
سوءاً بسبب هاؤلاء المتهربين من المسؤوليات! ألستم عائلتها؟
هذا ما تظنه ليليان دوما، و لن يتغير شيءٌ في حياتها طالما أنها تفكر
بأنه لا أحد يكترث لها..

{ أنين }

{ أنين }

في صباح يوم السبت تحديداً، بدأت افكار تراودها بأن تُنهي كل شيء، هي لن تقول وداعاً ولن تقول مرحبا مرةً اخرى لا أشباح لا نجاح لا شيء . هذا ما تظنه هي اصرت على انهاء كُل هذا، اصرت على انهاء كل شي،ارادت الوداع وعدم اللقاء مجددا، في ذلك اليوم بدأت تركض بلا توقف وتلك الدموع تنهمر على وجنتيها، حتى {يتراود على ذهنها آيه {لا تحزن إن الله مَعنّا
توقفت تستمع اليها تارة وتارة اخره تتساءل في نفسها هل هذا هو القدر؟ قدر الله ؟ انني مسلمة ؟ أليس كذالك ؟ يالها من بلهاء حقا لقد شكت في إيمانها أيضا !

بعد بضع لحظات توقفت وهي تردد تلك الآية مرارا وتكرارا توقفت وفتحت الستار وأخذت تنر من شرفة غرفتها هذا العالم يسر بقضاء الله وقدره الجميع يملك التغيير أليس كذالك يا نفسي ؟ رأت طفلاً يمسك بالونا وينزل من السيارة بصحبة والدته انه طفل جميل بالتأكيد ! رأت في الجانب الآخر من الزجاج وجهها الجميل بالطبع ليست هي الآن لكنها تتخيل نفسها عما قريب بعد لحظات تمتم لنفسها قائلة : هل حقا يب على الإنسان ان يتغير داخليا ليتغير خارجيا ؟ هل على أن اعود ليليان لتلك الفتاة المتفوقة المبتهج التي تنشر الأمل ؟ هل أستطيع في أثناء تلك اللحظات رأت شاباً وسيما بالطبع يمسك بيد والدته ليست عجوزا جدا ولكنها فى الستينيات من عمرها رأته يمسك يدها ويحدثها وهما يعبران الطريق يضحك ووالدته تضحك ايضا اكتفت بذالك لقد رأت حتى جارتها الصغيرة تلهو بالمراجيح في فاء منزلهم هي أيضا تبتسم ! قلت : أخيرا رأيت الحياة تبتسم ذالك يقين أم إيمان أم ان ربي قد أرشدني ؟ فتحت الزجاج واحست بنسمة هواء عليل جميل قد لامس شعرها الذهبي قد لامس رقبتها تطاير شعرها شعرت بالأمل شعرت بربها برقبتها وقالت : يا الله كم انت لطيف بعبادك لقد جعلتني أمر بهذا كله لتجعلني أقن حقا بأن والدي يحبانني ! هما لم يكونا ليتركانني أتألم!

لن استسلم، سأُكمل مابديته من خططٍ نجاح لقد خلقنا الله لعبادته ! ذهبت الى الحمام ونظرت الى المرأة وعزمت على ان تصبح اقوى مما كانت عليه توضات لتصلي العصر بالطبع لم يحدث كل ذالك ليلا! في تلك الأثناء دخلت والدتها الغرفة لتطمئن على أبنتها التي تركتها وهي مكتئبة ! دخلت الغرفة وإذا بالنافذة مفتوحة وصوت الماء يعلو وتلك الفتاة تنشد هل جنت ام ان أبنتها قد تغيرت ام ماذا يحدث ؟ دقت والدتها باب الحمام وهي تكاد يغشى عليها من هول ماتسمع ! قالت بتعجب شديد وحيرة : أبنتي تلك ؟ هل هي التي تنشد؟ أعوذ بالله ان يكون شيء آخر بالطبع فرحت بشدة وتعجبت الى درجة أنها قد جلست على سرير أبنتها وحاجبها قد وصلا الى منتصف جبتها ! انتظرت الى ان تخرج ليليان من الحمام .....

خرجت تلك الجميلة من الحمام وهي تضع على رقبتها فوطة مبللة على رقبتها وشعرها قد غسل جيداً والوجه ابيض كالؤلؤ وهي تحك شعرها وتقول: الحياة أممل أمممل ، وإذ فجأة تستيقظ من عالمها الذي كانت فيه وتفتح عينيها فوجدت والدتها قد صدمت ووقف شعرها ايضا من الصدمة يا إلاهي ماهذا الهذه الدرجه قد فرحت والدتها ايضا ؟

قالت لها مرحلا بنور البيت اهلا بنبع الحنان اهلا بالج- قاطعتها والدتها قائلة : أأنت بخير زم هي حمةمن نوع أخر ؟ الم تكوني قبل ساعتين من الآن قد تركت وأنت ترفعين صوتك علي ومنهارة جدا وتمتمين بكلمات غريبة ولا حتى من اللغة البنغالية ....؟

نزلت الى يد والدتها وقبلتها وقالت: أمي العزيزة أسفة اعتذر بشدة عما بدر مني لقد كنت أشعر بضيق حتى أنار الله بصيرتي ب آيته {لا تحزن ان الله معنا} ، أشكرك على حسن تربيتك لي وأشكرك على اهتمامك البالغ بي انت ووالدي وقت ضيقتي ، لقد رأيت العالم بشكل مختلف بعد ان استحممت الآن شعرت بأن الشمس قد أشرقت أول مرة ارى ابتسام ابنة جارتنا بتلك السعادة ، يجب على المرء على ان يتغير من الداخل ويشرق لتشرق شمس العالم من جديد .....

دمعت عينا الوالدة بعد ان ادركت ان ابنتها قد اصبحت واعية ومدركة لما تفعل ، ضمتها اليها وهي تمسح على رأسها وقبلتها وعما الهدوء ورفرفت الستائر إثر دخول النسيم البارد الجميلة وطار بعض ورق الشجر داخل غرفتها وظلتا هكذا حتى غفوتا هما الإثنتين الوالدة وفى حضنها أبنتها ذات الاربعة عشر عاما بعد ان حملتها في بطنها ٩ اشهر وربتها الى ان كبرت انها حقا ليليان انها ضوء القمر، لقد شعت أخيرا بعد سنة تقريبا من المعانة ومحاولة إدراك الحقيقة...

{ شمس الأمل }

{ شمس الأمل }

استيقظت بكل حماسة ليومها الجديد بداية جديد هي لم تذهب الى المدرسة منذ يومين الجميع بالتأكيد قلق عليها ! ، ارتدت ملابسها وهي تفتح النافذة من جديد لترى بإن هناك عصفور جديد يعيش على الشجرة التي تقع امام شرفة غرفتها مباشرة ، وسمعت صوت والدتها ولكن هذه المرة حمدا لله حمدااا لله ليس صراخا انما صوت حنون ينادي : عزيزتي ليليان صلي الفجر وانزلي لتأكلِ فطورك تذهب الى مدرستك ، اغلقت الشرفة ونزلت من غرفتها مسرعة تلبية لطلب والدتها لم تنس ان تشكر ربها عز وجل بعد ان رأت الحقيقة بأم عينها ... رأت والدها الذي لم تره حقيقةً انه اجمل رجل رأته على هذه الإرض بالطبع لن تجد مثل والدها

ارتدت حقيبتها ، كلها حماس للمدرسة دخلت وفجأة تعالت الأصوات : ليليان اهلا يا عزيزتي سلمت على جميع صديقاتها ، وبعدها بلحظات رأت بسمة وضمة الصديقة صديقتها ولكن كعادة بسمة انفجرت بكاءً وهذا ماكانت تخشاه ليليان لان دموع بسمة شلالات فرح ولكنها لن تقف الا بعد ان يقدر الله لها ذلك !

سرت معلمتها لرؤيتها من جديد معلمة العلوم التي تحبها بشكل لا يصدق قالت معلمتها فرحة : اهلا بعودتك يا جميلة الفصل اشتقنا لك بالطبع لم تستطع الرد لقد عجزت لم تعلم ماذا تقول ! بدأ اليوم الدراسي لقد ممتعا جدا جدا عادت ليليان من جديد وعاد نورها وعادت طاقتها من جديد تملأ الأفق نورا ، وانتهى اليوم الجميل بقبلة من والدها وقد شعرت بإنجاز لانها شارفت على ختم كتاب ربها عز وجل كادت ترقص فرحا تحت لحافها الاصفر ولكنها تمالكت نفسها وقالت ضاحكة : ما أجمل ان يدرك الإنسان مافعله وان يصلح أخطائه ويتعلم منها ...!

الخاتمة { نسيم }

الخاتمة { نسيم }

الآن ليليان تلك التي مرت بأصعب المشاكل واعقدها في نظرها أصبحت بعدها بعد كم سنه مرت هي أم و معلمة لغة عربية في اعرق الجامعات وايضا طبيبة نفسية ، لم تنس صديقتها ولم تنس تلك اللحظات فقد كبرت بسمة ايضا وأصبحت أمً هي ايضا ولكنها ليست معلمة انها الآن تعمل كأحد كبار رؤساء قسم الهندسة ، في شركة ابل رائعتنا تلك الفتاتان

مالزمان الا حلقة كبيرة تدور فيها الأحداث بلا بداية ولا نهاية ، وكل مايظنه الآخيرة بداية او نهاية هو محض تقدر يتفاوت من إنسان الى اخر ، الشمس تشرق ... الشمس تغرب.... في كل حدث تتمثل بدايات ونهايات ... ويافل نجم ويلمع قمر ، والأحوال تتبدل ، والناس هم الناس ... يرضون ويسخطون ولا يعرفون للقناعة سبيلاً....

تمت بحمد الله

ما لهم أكثر

مالزمان الا حلقة كبيرة تدور فيها الأحداث بلا بداية ولا نهاية ، وكل مايظنه الآخيرة بداية او نهاية هو محض تقدر يتفاوت من إنسان الى اخر ، الشمس تشرق ... الشمس تغرب.... في كل حدث تتمثل بدايات ونهايات ... ويافل نجم ويلمع قمر ، والأحوال تتبدل ، والناس هم الناس ... يرضون ويسخطون ولا يعرفون للقناعة سبيلاً....

فداء الكومي

رسيل الدويرج